www.shabcenter.ly
info@shabcenter.ly

برعاية المدار الجديد

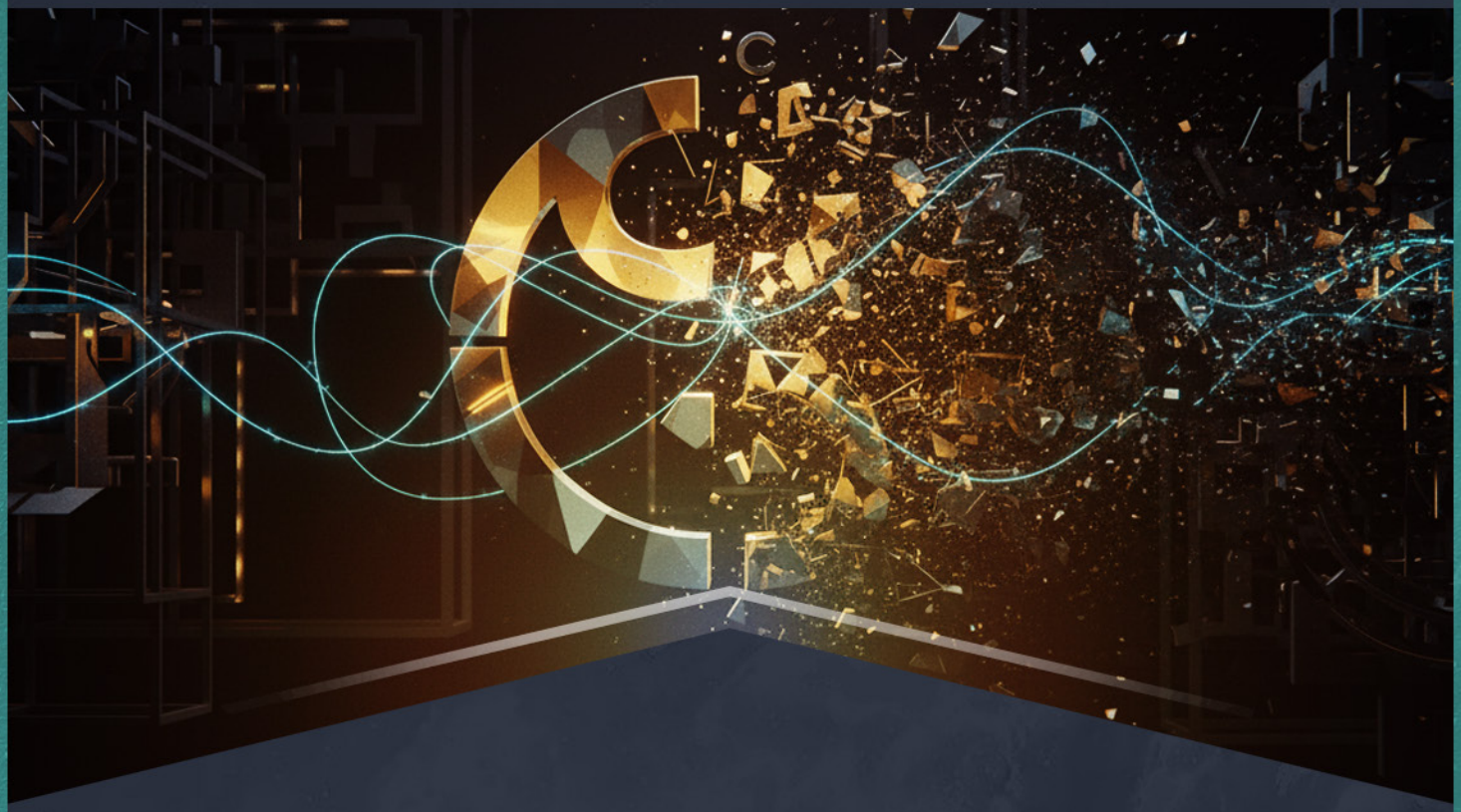

انفصال الدال عن المدلول .. قراءة في التحول الرمزي للحداثة وما بعد الحداثة

إبراهيم الصادق الجريوعي

انفصال الدال عن المدلول . .
قراءة في التحول الرمزي للحداثة وما بعد الحداثة

بقلم: إبراهيم الصادق الجربوعي.

الملخص

تناقش هذه المقالة مفهوم «انفصال الدال عن المدلول» بوصفه أحد تمظهرات الأزمة المعرفية العميقة التي طرأت في سياق الحداثة وما بعد الحداثة. تنطلق المقالة من تحليل لغوي وفلسفي لموقع اللغة والرمز في تكوين المعنى، وتُظهر التحول الجذري في العلاقة بين الرمز والمرجع، إذ أصبح الدال يتفلت من مدلوله بصورة مستمرة، مما يجعل المعنى في حالة حركة دائمة وغير قابلة للتثبيت. كما تتناول المقالة أثر هذا الانفصال في الأدب والفن، والسياسة، وتبرز كيف أصبح مدخلًا لتحليل جديد للواقع والخطاب، ومصدرًا لتحرر المعنى في الفكر المعاصر.

الكلمات المفتاحية: الحداثة، اللغة، الدال، المدلول، دي سوسير، دريدا، التفكيك، ما بعد الحداثة، الرمزية، انفصال المعنى.

المقدمة

يُعدّ الفكر الإنساني قائمًا على اللغة كوسيلة أساسية للتواصل ونقل المعنى بين البشر، فهي ثمرة التفاعل الإنساني مع الواقع وطريقة التعبيرعن الدلالة المقصودة. ويعتبر التواصل اللغوي ظاهرة مشتركة وجوديًا بين كافة البشر، إذ تقوم على علاقة بين الجوهر والموضوع، وبين الدال والمدلول، وهي الأساس لنظرية المعرفة.

شهد الفكر الغربي الحديث، ومنذ مطلع القرن العشرين، تحولات فلسفية ولغوية عميقة غيّرت طريقة فهم الإنسان للواقع والمعنى. ومن أبرز هذه التحولات ظهور مسألة انفصال الدال عن المدلول، بوصفها مفتاحًا لفهم أزمات الحداثة المعرفية والرمزية. فاللغة التي كانت تعتبر أداة لنقل الحقيقة والتواصل المباشر لم تعد كذلك؛ بل أصبحت موضع تساؤل مستمر حول قدرتها على التعبير عن الواقع بشكل ثابت.

لقد شكّلت البنيوية نقطة انطلاق لفهم العلاقة بين اللفظ والمعنى بطريقة جديدة، ثم جاءت ما بعد البنيوية لتفكك هذه العلاقة، معيدة تعريف حدود اللغة والواقع والمعنى. في هذا الإطار، تقترح هذه المقالة تتبع تطور مفهوم انفصال الدال عن المدلول وأثره في مجالات متعددة، مع إظهار انعكاساته الفكرية والاجتماعية والفنية.

المنهجية

اعتمدت المقالة منهجًا تحليليًا فلسفيًا ولغويًا، من خلال دراسة تطور الفكر البنيوي وما بعد البنيوي، وتحليل المقاربات الفكرية المتعلقة باللغة والدلالة، مع رصد التطبيقات العملية للانفصال الدال عن المدلول في الأدب والفن والسياسة والفضاء الرقمي. كما استخدمت المقالة المقارنة الفكرية بين الحداثة وما بعد الحداثة والفكر الإسلامي لإظهار الفروق في مقاربة اللغة والمعنى.

الجذور البنيوية للمفهوم

في أوائل القرن العشرين، أحدث عالم اللسانيات السويسري فرديناند دي سوسير ثورة مفاهيمية حين عرّف اللغة كنظام من العلامات، تتكون كل علامة لغوية من دال)الشكل الصوتي أو الرمزي) ومدلول)المعنى الذهني). وأكد دي سوسير أن العلاقة بين الدال والمدلول اعتباطية، لا تحكمها علاقة طبيعية بل اتفاق اجتماعي.

ومع أن هذا الطرح هدم الفكرة التقليدية عن اللغة كمرآة للواقع، إلا أنه حافظ على وجود علاقة محدودة بين الرمز والمرجع. في البنيوية، تُفهم اللغة كنظام مغلق داخليًا، حيث تنتج المعاني من الفروقات بين العلامات وليس من إحالة مباشرة إلى الواقع الخارجي.

دريدا والتفكيك

قدم جاك دريدا، أحد أبرز فلاسفة ما بعد البنيوية، هذه الفكرة إلى أقصاها من خلال مفهومه في الاختلاف، معتبرًا أن كل دال لا يُحيل إلى مدلول ثابت، بل إلى دال آخر، في سلسلة لانهائية من الإحالات، وهو ما يُعرف بـ تأجيل المعنى أو التفكك المستمر.

رفض دريدا فكرة «المركز»، أي المعنى النهائي أو المرجع المطلق، وبيّن أن النصوص تُنتج كشبكات من التوترات بين العلامات، لا ككيانات محمولة بالمعنى النهائي. فاللغة تصبح فضاء يُعاد فيه بناء العالم دون يقين، وهي ليست مجرد وسيلة لنقل المعرفة، بل أداة لتشكيل الواقع بطريقة رمزية مستمرة.

مظاهر الانفصال في الأدب والفن

ظهر أثر هذا الانفصال جليًا في الأدب الحديث وما بعد الحداثي، حيث لم يعد النص مجرد وعاء للرسالة، بل أصبح مساحة لتعدد القراءات والتأويلات. الروائيون والشعراء بدأوا بوعي اللعب على غموض اللغة، وأصبح الالتباس واللايقين أدوات أساسية في بناء المعنى.

في الفن البصري، انعكس الأمر في الميل إلى الرمزية المتكاثرة واللاواقعية. الفن ما بعد الحداثي يحتفي بانفصال الصورة عن مرجعها الواقعي، محولًا العمل الفني إلى فضاء تمثيلي ينفصل فيه الشكل عن المعنى، بل ويتحدى المشاهد لإنتاج دلالاته الذاتية.

الانفصال في الخطاب السياسي والاجتماعي

امتد هذا التفكك الرمزي إلى الخطاب السياسي والاجتماعي، حيث أصبحت

امتد هذا التفكك الرمزي إلى الخطاب السياسي والاجتماعي، حيث أصبحت المفاهيم المركزية مثل «العدالة»، «الديمقراطية»، و»الحرية» تُستخدم شعاراتيًا دون إحالة ملموسة إلى الواقع. فالخطابات السياسية غالبًا ما تغلف الحقائق بدوال فارغة توجه الجماهير بدل التعبير عن الواقع.

وفي الإعلام الرقمي ووسائل التواصل الاجتماعي، يظهر الانفصال في تداول الصور والنصوص المقطوعة من سياقاتها، بحيث يتحول الخطاب إلى فوتوغرافيا لغوية قائمة على الإثارة اللحظية لا على البناء المعرفي.

أزمة التمثيل في الحداثة

تمثل هذه الظاهرة أزمة عميقة في مشروع الحداثة، الذي سعى إلى إنتاج نظام معرفي عقلاني مستقر. مع تفكك المرجعية النهائية المتجاوزة ، وفصل علاقة اللغة بالعالم، وأصبح «التمثيل» ذاته محل شك. لم تعد اللغة مرآة للواقع، بل أداة لإنتاج واقع بديل، رمزي، قابل لإعادة التشكيل في كل مرة.

هذا التبدل له آثار فلسفية عميقة؛ إذ يعيد النظر في معنى «الحقيقة»، ويفتح الباب أمام نظريات جديدة في المعرفة والتفسير والهوية.

ما بعد الحداثة والاحتفاء بالانفصال

على عكس النظرة الحداثية، تحتفي ما بعد الحداثة بهذا التفكك. الانفصال يُفهم كفرصة لتحرير المعنى من الاستبداد، وفتح النصوص والرموز أمام اللعب والتعدد والتجريب.

يتجلى ذلك في الأدب، الفلسفة النسوية، والنقد الثقافي، حيث يتم تجاوز مفهوم «المعنى الصحيح» لصالح تعددية التأويلات. المعنى لم يعد نتيجة

لمراد المؤلف، بل يخلقه القارئ عبر تجربته.وبذلك نخلق عدد لانهائي من المفاهيم والمقاصد

اللغة، الواقع، والهوية في ظل الانفصال

غيّر هذا التحول الرمزي فهم الهوية، إذ لم تعد الذات ثابتة أو جوهرية، بل تُبنى عبر اللغة والخطاب. الهوية تصبح بنية سردية يتم إنتاجها وتداولها، وليس كيانًا ميتافيزيقيًا.

كذلك أعاد الانفصال تشكيل فهمنا للواقع، فالعالم كما يُدرَك ليس مجرد ما هو موجود، بل ما يتم تمثيله وتداوله رمزيًا. إن أزمة الدال والمدلول ليست مجرد أزمة لغوية، بل أزمة وجودية وفلسفية تشمل الفكر والهوية والمعرفة.

الخاتمة

إن انفصال الدال عن المدلول في الفكر الحداثي وما بعد الحداثي لا يُعد تطورًا لغويًا بريئًا أو مجرد أزمة دلالية، بل يعكس خللاً بنيويًا في المنظومة المعرفية الغربية الحديثة، التي قطعت الصلة بين اللغة والوجود، وبين الإنسان والحقيقة، وبين العقل والوحي.

يشير الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن إلى خطورة هذا الانفصال، مؤكّدًا أن الحداثة الغربية استبدلت المعنى بالسلطة، والمعقول بالمصنوع، حتى غدت اللغة أداة هيمنة لا وسيلة للتواصل، وانفصلت الدوال عن مرجعياتها الأخلاقية والروحية.

ويرى عبد الوهاب المسيري رحمه الله أن المشروع الحداثي الغربي انزلق إلى العلمنة الشاملة واختزال الرموز إلى المادة، مما أدى إلى فقدان البعد الإنساني في الخطاب، وتحول اللغة إلى تقنيات تواصلية محايدة، خالية من القيمة وناقصة التماسك المعنوي.

وبذلك، فإن «انفصال الدال عن المدلول» هو تفكيك للمعنى الروحي للوجود، وتمييع للهوية، وتكريس لحالة اللايقين والاغتراب في المجتمعات المعاصرة. بينما يقدم الفكر الإسلامي بديلًا يقوم على إعادة وصل اللغة بالوجود، والدال بالمدلول، من خلال ثلاث مرجعيات متكاملة: الوحي، والعقل، والفطرة، بحيث يصبح المعنى أمانة ومسؤولية تؤدي إلى الهداية والمعرفة والعمل الصالح.

إن نقد الحداثة من الداخل لا يكتمل إلا عبر تأسيس مشروع معرفي بديل يستعيد مركزية المعنى ويُفعّل اللغة كوعاء للقيم، ويحرر الفكر من سطوة التفكيك ليعيد للإنسان توازنه في فهم الذات والعالم والوجود.

قائمة المراجع

1. دي سوسير، فرديناند. محاضرات في اللسانيات العامة. ترجمة: شكري محمد عياد. دار الفكر، 1985.

2. دريدا، جاك. في علم الكتابة. ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي. دار توبقال، 1988.

3. طه عبد الرحمن. روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية. المركز الثقافي العربي، 2006.

4. المسيري، عبد الوهاب. العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة. دار الشروق، 2002.

5. Eco, Umberto. A Theory of Semiotics. Indiana University Press, 1976.

6. Barthes, Roland. Image-Music-Text. Hill and Wang, 1977.